بسم الله الرحمن الرحيم (أجرأ على غير سنة ووحدة على غير عقيدة)؟
(نظرة في بيانه الاثني عشر عما يسمى الجرأة في العراق)

أصدر اثنا عشر من طلاب العلم الشرعي أو طلاب الفكر الإسلامي غير الشرعي أو طلاب الخلط بينهما بياناً من السعودية دون استشارة كبار علمائها، ولا استئذانه ولاة الأمر فيها - فيما ظهر لنا -، ولا موافقة لقول الله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، ولا اتباع لشرع الله في أمر الجرأة ولا في أمر الوحدة، ولما كانت المقدمة فاسدة فلا عجب أن تأتي النتيجة كاسدة.
وبما أن أمر العاقبة لله وحده لا يد للعبد فيه ولا حول لمخلوق ولا قوة إلا بالله فسنقصر البحث على المقدمة وحدها بما يمكن من إيجاز وبالله التوفيق:

أ- للجرأة لفظ ومعنى توقيفي أوحى الله تعالى به إلى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة لا يجوز أن ينازعه الفكر (ولو سمي خطأ إسلامياً) سواء بما يسمى الاستحسان (وهو طريق الابتداع والضلال) أو بما يسمى الاجتهاد من أهل الفقه (فكيف بمن أهل الفكر خالصاً أو مخلطاً بالفقه)، والجرأة بمعنى القتال هو آخر مراحل الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وغايته: أن تكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ولا يجوز أبداً بخالطة الاعتداء ولا الظلم ولا الغدر ولا الخيانة حتى لو كان العدو مشركاً صد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم عن المسجد الحرام.
قال الله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾.
وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾
وقال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل للحمية وعن الرجل يقاتل لتذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، وعن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، وعن الرجل يقاتل غضباً فكان جوابه في كل حال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه.
وقال صلى الله عليه وسلم: «والله أعلم بمن يجاهد في سبيله والله أعلم بمن يكلم في سبيله» متفق عليه.
وقال صلى الله عليه وسلم عن أحد المقاتلين في صفه: «أما إنه من أهل النار» متفق عليه، مع أنه كان من أشدهم قتالاً حتى قال بعض الصحابة: (ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان) لأنه قتل نفسه.
ب- هل مر المجاهدون المصريون بالمراحل التي مر بها الجهاد الحقيقي

في زمن النبوة والصحبة بأمر الله تعالى؟ هل دعت (القاعدة) في السودان وأفغانستان ومن سار على منوالها في العراق (التي خصّها البيان) وغيرها، هل دعت إلى إفراد الله بالعبادة أو نهت عن المقامات والمزارات والمشاهد (السنية أو الشيعية أو اليهودية أو النصرانية)؟ بل هل دعا سلف (القاعدة) ومن سار على منوال الحق (قبل المجاهدة المصرية) منهم وأكثر موقعي البيان أو كلهم في أبي منهم أو مقربهم هل دعوا إلى صرف العبادة كلها (ومنها الدعاء وطلب المدد) لله وحده وصرفها عن الأوثان التي لبدوا وعاشوا وماتوا بينها مثلما أو قريبا مما اتهموا به من منازعة الأمر أهله؟ من يقرأ رسائل ومذكرات حسن البنا وكتب سيد قطب وكتب تقي الدين النبهاني تجاوز الله عنهم جميعا يعرف أن الجواب الحق على هذه السؤالية النفي القاطع.

ج- الجهاد الوهمي (والإجرامي أحيانا بل غالبا) المعاصر بدأ بالقتال ولا شأنه لم بالدعوة إلى الله على بصيرة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وصحابته وتابعوهم رضي الله عنهم واستمرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة قبل أن يأذن الله بالقتال.

والقتال بعد الإذن به لم يكن فيه غدر ولا اعتداء ولا خيانة ولا قتل للنفس (كما ثبت في حديث الصحيحين) ولا قتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق بالتفجير في الأسواق والمكاتب والحافلات والمطاعم العامة.

والجهاد الوهمي (أو الإجرامي) لا يختار قدوته من به من ثبت ولا يتهم لله، وثبت أنهم أهل للاقتداء بهم؛ بل مثل المعتصم تجاوز الله عنه الذي حرص مثل سلفه وخلف على فتنة علماء المسلمين وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمه الله عن صحيح المعتقد إلى فكر الاعتزال، وجر جيوش المسلمين إلى بلاد الروم حمية لاسمه واستجابة لرواية مجهولة عن امرأة مجهولة استغاثت به من دون الله، والاستغاثة بالغائب والميت شرك بالله.

ومثل عز الدين القسام رحمه الله الذي تقول عنه بعض الكتب أنه كان رئيسا للطريقة الشاذلية (ولم يحاول أحد المحدثين في الأردن تبرئة ساحته من الخرافة والحركية لأنه وافق القصاب رحمه الله على نهيه عن رفع الصوت مع الجنازة، وسلوت رحمه الله خير منه في كتابه عن النهي عن البدع عوام).

بل مثل صلاح الدين رحمه الله الذي أخره الله لاسترداد بيت المقدس من النصارى ولكنه أبقى على أوثان ولاية الفاطمية في مصر بل زادها وثنا بإحياء الشافعي رحمه الله (كما يقول السيوطي رحمه الله في تاريخ الخلفاء).

د- والوحدة التي يطالب بها موقعوا البيان وكاتبوه لم تأخذ في حسابها

الاعتقاد (صحة أو فساداً) المهم توحيد الكلمة وتوحيد الصف لا توحيد الاعتقاد (فيما تعودناه من الحركية والحزبية والفكرية)، وشريعة الله عز وجل تأمر بالتعاون على البر والتقوى وتنهى عن التعاون على الإثم والعدوان في كل حال ولو في معاملة العدو كما يدل السياق.

هـ - وخرج موقعوا البيان عن مألوف الحركية والحزبية فذكروا عدداً من الآيات والآثار ولكنه في غير محلها غالباً، فالله تعالى قيد الاعتصام بحبل الله، والفتنة (مقدمة ونتيجة) هي ما يقع فيه اليوم من يسمون بالمجاهدين والشهداء تجاوز الله عنا وعنهم بل هي فتنة عمياء لا يدري القاتل فيم يقتل بسلاحه ولا يدري المقتول فيم قتل ولو أدرك أحدهما الحقيقة لعرف أنه الفاية ليست إعلاء كلمة الله بل الحقد والغضب بل والمغنم للحزب المحرك سراً أو سلطاناً كما يظهر منهم منذ ابتلي الإسلام والمسلمون بهم.

و - وختم موقعوا البيان وكاتبوه بيانهم بالدعاء أن يجعل الله هذا الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، وجزاهم الله خيراً على ذكر ذلك ولو آخراً، ولو كانت أكبر الهم لكانت أولاً، ولكنهم وضعوا الأمر في نصابه الحزبي والحركي، ولم نتعود من مرسلي البيان ولا المرسل إليهم التركيز على الاعتقاد والاتباع أولاً ولا على الغاية الشرعية للجهاد أولاً، بل ولا على مراجع النبوة أولاً، بل على مراجع فلان وفلان ممن نظنهم بهم حسن النية وسوء العمل.

رد الله الجميع إلى دينه رداً جميلاً وهداهم لأقرب من هذا رشداً.

١٤٢٨/٤/١٥